كسر أفق التوقع في استعمال الحرف في القرآن الكريم

إعداد

أحمد محمد عبد الوهاب

باحث دكتوراه- قسم اللغة العربية

كلية الآداب- جامعة بني سويف

الملخص:

تأتي بعض حروف المعاني في القرآن الكريم على غير المألوف؛ فينكسر أفق التوقع عند المتلقي، ولا يكون العدول في الحروف ترفًا لفظيًّا، أو لمجرد جذب الانتباه عند المتلقي؛ و إنما يكون بحسب ما تفرضه السياقات المختلفة؛ فينتج الحرف الكاسر أفق التوقع معنى الحرف المتوقع وزيادة.

ويسير البحث في اتجاهات ثلاث للكشف عن هذه الظاهرة الأسلوبية؛ وهي:

أولًا. كسر أفق التوقع في استعمال حرف العطف في القرآن الكريم.

ثانيًا. كسر أفق التوقع وتقارض الحروف.

ثالثًا. كسر أفق التوقع والبناء الصوتي.

الكلمات المفتاحية:

كسر، أفق، التوقع، الحرف، القرآن الكريم.

Abstract:

Some letters of meaning in the Holy Qur'an come unexpectedly, breaking the horizon of expectation for the recipient, and he does not bother with the letters as a verbal luxury, or just to attract the focus of the recipient, even as decided by the different contexts, producing the letter that breaks the horizon of expectation and the meaning of the desired letter, and the search proceeds in There are trends of three sites about this apparent phenomenon, which are:

First: breaking the horizon of expectation in the use of the letter conjunction in the Holy Qur'an.

Second: Breaking the horizon of expectations and cutting letters.

Third: Breaking the horizon of expectations and building voice.

المقدمة:

يكسر الحرف في القرآن الكريم أفق التوقع عند المتلقي؛ وذلك إذا انتظر المتلقي حرفًا يأتي على القياس اللغوي المطرد، أو جاء السياق متصلًا بالحرف المتوقع في سياق قرآني آخر. والبحث في هذه الصفحات يتعرض لبعض الآيات التي كسر الحرف فيه أفق التوقع عند المتلقي، معتمدًا المنهج الوصفي التحليلي في معرفة الأسرار البلاغية لتلك المفاجأة الأسلوبية في السياق القرآني المحكم.

ويدور البحث في دراسة الحرف من خلال ثلاثة مباحث؛ وهي:

أولًا. كسر أفق التوقع في استعمال حرف العطف في القرآن الكريم.

ثانيًا. كسر أفق التوقع وتقارض الحروف.

ثالثًا. كسر أفق التوقع والبناء الصوتي.

المبحث الأول:

دلالة الكلمة وكسر أفق التوقع في استعمال حرف العطف في القرآن الكريم

أولًا. كسر أفق التوقع في استعمال حرف العطف في القرآن الكريم:

يقع العدول في حروف العطف في القرآن الكريم؛ ما ينتج عنه كسر التوقع عند المتلقي؛ لاسيما إذا توالت الروابط العطفية بحرف واحد، ثم عدل إلى حرف عطف آخر. وبالرغم من أن كسر أفق التوقع بين حروف العطف يمثل صدمة للمتلقي تدهشه وتجذب انتباهه، إلا أن للعدول بين حروف العطف في القرآن دلالة مقصودة، وينتج أغراضًا متنوعة ومعاني متعددة، ما كان لها أن تنتج لو استمر السياق بنفس الحرف المذكور، ومن هذه الآيات قوله. تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ٨١﴾ (الشعراء: ٧٨ – ٨١)؛ إذ إن المتأمل في السياق القرآني الجليل يجد أكثر من كسر لأفق التوقع عند المتلقي؛ حيث العدول بين حرفي العطف (الفاء، والواو)، ثم استعمال حرف العطف (ثم) في نهاية الآيات المذكورة. وقد جاءت الروابط العطفية بين الأفعال في الآية الكريمة لتنتج معنى حجاجيًّا تكشف عنه تلك الروابط؛ إذ من الممكن أن تأتي الأفعال دون تلك الروابط العطفية؛ «لكنها عطفت هنا لهدف حجاجي ينهض إلى الإشارة التي تؤدي إلى أن كل واحدة من هذه الأمور، تكفي لعبادة الله. تعالى. ونلحظ الانتقال من العطف بالفاء وبالواو؛ فالفاء بحسب الأسبق (الخلق. الهداية) وكذلك (المرض. الشفاء)؛ لأن الشفاء يأتي بعد المرض مباشرة، وكذلك (الإطعام. السقاية)؛ لانسجام واقع بين الأكل والشرب، وديمومتها لدى الإنسان» ([1])، وهو. أيضًا - ما يدل على أثر السياق في استعمال حروف العطف، ومناسبتها للمعاني، كذلك فإن حرف العطف (ثم) كسر التوقع عند المتلقي؛ إذ ذُكر دون (الواو أو الفاء)، «وعطف بثم في موضعها؛ لأن البعث لا يكون عقب الموت، بل يكون بينهما تراخٍ في الزمن حسًّا ومعنى؛ أما الحس فظاهر، وأما المعنوي فهو التفاوت بين

[1] - أسلوبية الحجاج، مثنى كاظم صادق، ص 93.

حياة لاغية مكدودة، وحياة بالنسبة لمثل خليل الله .تعالى. حياة هادئة لا لغوب فيها، بل هي جنات النعيم» ([1]). أو حياة البرزخ التي يعالج الإنسان فيها أسباب الشقاء أو النعيم.

كذلك فإن حرف العطف (ثم) «قد أفضى إلى دلالة أقوى، وهي الإحياء بعد سلسلة حياتية (إطعام وسقاء ومرض وشفاء وموت). وبالنتيجة قدرته .تعالى. على كل شيء، ولعل حجة الإحياء الواقعة بعد الرابط (ثم) هي الأقوى؛ لأن الإحياء ليس كالإطعام والسقي والمرض والشفاء؛ فالموت والحياة لا يقدر عليهما إلا الله .تعالى. فمن أجل ذلك جاء الرابط الحجاجي (ثم) بين الموت والحياة» ([2]). كذلك كسر حرف العطف (ثم) أفق التوقع عند المتلقي في قوله .تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (القصص: ٢٤ – ٢٥).؛ حيث توالت الفاءات في الآيتين السابقتين, وكسر حرف العطف (ثم) التوقع عند المتلقي, في قوله .تعالى: « ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ », وقد جاءت «ثم» ملائمة لسياق المقام في الآية الكريم؛ إذ تسمح الكلمة للعقل أن يستنبط في فضاء القصة ما يناسب دلالة التراخي لها؛ ومنها أن نبي الله موسى .عليه السلام. «طوال رحلته لم يتيسر له الحصول على الطعام، وكان يأكل من بقل الأرض حتى نحل جسمه، وأصبح مهزولًا, وضعف من قلة الأكل, ومع أنه على هذه الحالة من الضعف, فهو عندما رأى المرأتين في هذا الموقف قام وسقى لهما، وقضى مصلحتهما» ([3]). وقد تنتج «بى» شدة الإجهاد والتعب الذين كانا يعانيهما نبي الله موسى .عليه السلام ،. الأمر الذي منعه - عليه السلام - من الإسراع إلى الظل, وبالتالي عدم استخدام الفاء العاطفة, يثمن هذا المعنى كلمة "تـولـى" وليس (ولى) التي تدل على طول المسافة أو طول السير؛ إذ الزيادة في المبنى تقتضي الزيادة في المعنى, كذلك التركيب « إلـى الـظل» » فيه دلالة على أنه سقى لهما في شمس وحر» ([4]). كذلك تنتج «ثـم » في فضاء

[1] - زهرة التفاسير، أبو زهرة، ص 5368.

[2] - أسلوبية الحجاج، مثنى كاظم صادق، ص 93.

[3] - قصص الأنبياء، الشعراوي، ص463.

[4] - تفسير الفخر الرازي، محمد الرازي، 239/24.

القصة الكريمة ما يدل على مروءة نبي الله موسى؛ فهو لم يكتف بالسقيا لابنتي صاحب مدين؛ و إنما ساعدهما على الخروج بأغنامها من الزحام عند ماء مدين؛ فقد كانوا «أمة من الناس يسقون »، وكأنه «يريد أن يشكر الله بما أنعم به عليه، ولكنه بعد ذلك كله وبعد أن اقتنع وتأكد أنه ليس هناك حاجة لبقائه عند الماء يتولى إلى الظل» ([1]). كذلك قد يكسر حرف العطف (الواو) أفق التوقع عند المتلقي؛ وذلك في مثل قوله تعالى. ﴿... فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾ (الكهف:19)؛ فقد توالت الفاءات في « فَٱبۡعَثُوٓاْ »« فَلۡيَنظُرۡ» « فَلۡيَأۡتِكُم »، ثم تحول السياق إلى حرف العطف الواو في «وَلۡيَتَلَطَّفۡ»؛ وذلك لتنتج دلالة حرف العطف معنى جديدًا؛ فالفاءات في الآية الكريمة تدل على الترتيب والتعقيب؛ أما حرف العطف الواو في «وَلۡيَتَلَطَّفۡ» يؤكد أن التلطف غير مرتب على الأفعال السابقة؛ بل إن كل فعل من الأفعال الثلاثة السابقة يستلزم من القائم به أن يتلطف وهو يؤديه» ([2]).

و أيضًا قد يكسر حرف العطف التوقع عند المتلقي إذا توالت الصفات دون حرف عطف، ثم يؤتى بحرف العطف، وهو ما يفرضه السياق؛ وذلك في قوله. تعالى ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(التوبة: ١١٢)؛ فقد توالت المفردات القرآنية دون حرف عطف، ثم كسر التوقع بعد قوله: « ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ » بذكر حرف العطف الواو. وقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أن هذه الواو واو الثمانية. وقد ضعفت طائفة أخرى كون مجيء الواو لعلة الثمانية فقط، ويبقى السر البلاغي من وراء مجيء تلك الواو في موضعها؛ وذلك أن بين « ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ » « وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ» اختلافًا في الغرض. وقد يكون هناك اختلاف في معالجة كل منهما، «وإذا تباين ما بين الوصفين جاز العطف، ولما كان الأمر مباينًا للنهي؛ إذ الأمر طلب فعل والنهي ترك فعل، حسن العطف

[1] - قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، ص496.

[2] - النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، ص201.

في قوله: « وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ » ([1]). كذلك تنتج دلالة الواو الكاسرة للتوقع معاني بلاغية في قوله . تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ (الكهف: ٢٢)؛ حيث جاءت الواو العاطفة في « سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ »، ولم تأت بين الأعداد قبلها. وقد دعا ذكر الواو بعض الباحثين إلى تقرير أن عدد أهل الكهف سبعة؛ فهي «ليست واو الثمانية كما يقول بعض الناس إذ ليس في اللغة واو تسمى واو الثمانية؛ لذا ذهب المحققون إلى أن عددهم سبعة لمرجحات منها وجود الواو؛ حيث لم تأت في القولين الأولين، وجاءت في القول الأخير» ([2]).

وقد جعلت الواو من قبيل العطف «وقيل: هي في ذلك لعطف على جملة؛ إذ التقدير هم سبعة ... وقيل العطف من كلام الله تعالى، والمعنى: نعم هم سبعة وثامنهم كلبهم، وإن هذا تصديق لهذه المقالة كما أن « رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ » تكذيب لتلك المقالة، ويؤيده قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: حين جاءت الواو انقطعت العدة؛ أي لم تبق عدة عادٍ يلتفت إليها» ([3]).

كذلك أنتج كسر التوقع بذكر الواو معنى معنويًّا في قوله . تعالى : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ٧٣﴾(الزمر: ٧٣). فقد كسر التوقع في « وَفُتِحَتۡ»، ولم تذكر الواو فيما قبلها في قوله . تعالى . ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا...﴾ (الزمر: ٧١).

«وقيل إن هذه الواو واو الحال، والمعنى: حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها؛ أي جاءوها وهي مفتحة. قيل: إن أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها، وأما أبواب

[1] - البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 107/5.

[2] - قصص القرآن، فضل حسن عباس، ص747.

[3] - مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، 418/2.

الجنة فتقدم فتحها بدليل قوله . تعالى . ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠﴾ (ص: ٥٠)؛ وذلك لأن تقديم باب الضيافة على وصول الضيف إكرامًا له وتأخير باب العذاب إلى وصول المستحق له أليق بالكريم؛ فلذلك جيء بالواو، كأنه قيل: حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها» ([1]).

كذلك كسر حرف العطف التوقع عند المتلقي في قوله . تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ (التحريم: 5)؛ فقد توالت الصفات: الإسلام والإيمان والقنوت والتوبة والعبادة والسياحة والثيوبة، دون حرف عطف، ثم جيء بالواو بين « ثَيِّبَٰتٖ" وَ "أَبۡكَارٗا". وقد تجتمع كل هذه الصفات في امرأة واحدة، «وأما الثيوبة والبكارة فلا يجتمعان في امرأة واحدة؛ لذا عطف أحدهما على الآخر، ولو لم يأت بالواو لاختل المعنى. وذكر الجنسين؛ لأن في أزواجه. صلى الله عليه وسلم. من تزوجها بكرًا، وفيهن الثُّياب» ([2]).

كذلك من حروف العطف التي عملت على توسيع المعنى (أو) في قوله . تعالى: ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ٨٠﴾ (هود: ٨٠)؛ إذ قد يتوقف المتلقي عند « أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ»، فإن نبي الله لوطًا -عليه السلام- كان يلجأ إلى ركن شديد، غير أن التعبير بالحرفين«لو» و«أو" عمل على توسيع المعنى، وملاءمة سياق المقام، فقد «ضاق صدر نبي الله وقد أحس بضعفه أمام قوتهم وكثرتهم وقلة من معه فقال مستيئسًا « لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ»؛ أي لو أن لي بدفعكم قوة أردكم بها أو آوي إلى قوي أمتنع به دونكم، وشبه ذلك القوي بالركن من الجبل، ويصح القول (أخرج من هذه الأرض الفاسدة و آوي إلى جبل يعصمني منكم ومن شركم) وكلمة « لَوۡ» للتمني. وفي هذا الاستضعاف الشديد يكون فرج الله، فيجد أنه آوى إلى أعظم ركن وهو ركن الله

[1] - حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، محمود سعد، ص52.

[2] - التفسير المنير، وهبة الزحيلي، 691/14.

.تعالى.، وقد رأى الركن بجانبه وهم الملائكة» (1). وكون « لَوْ» للتمني فلا تحتاج إلى جواب، وإذا كانت شرطية فإن جوابه محذوف، «والتقدير: لو ثبت لي وجود قوة لدفعتكم وفعلت بكم كيت وكيت»(2).

ويجوز أن يكون نبي الله لوط حاج قومه بما يناسب تفكيرهم وطباعهم، ويلائم سياق القصة؛ فهو لما يعرف بعد أن الذين جاءوه هم رسل الله وملائكته، وهو يتحسر من مكر قومه به، فيخاطبهم: لو أن لي عليكم قوة تدفع عني شركم، أو لي ما ألوذ به وأحتمي، ما فعلتم ذلك. فيكون خطابه - عليه السلام - لهم موافقًا سياق المقام، وما تعارفت عليه عاداتهم، وقد ذهب الكوفيون إلى أن «أو» بمعنى (بل)؛ أي إنه «لما شاهد سفاهة القوم وإقدامهم على سوء الأدب تمنى حصول قوة قوية على الدفع، ثم استدرك على نفسه، وقال: بل الأولى أن آوي إلى ركن شديد، وهو الاعتصام بعناية الله. تعالى ـ، وعلى هذا التقدير فقوله: «أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ» كلام منفصل عما قبله ولا تعلق له به» (3).

ثانيًا. حرف العطف في أسلوب القسم:

وتكسر حروف العطف التوقع عند المتلقي في أسلوب القسم؛ وذلك في أول سورة المرسلات، في قوله تعالى : ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦﴾ (المرسلات: ١ – ٦)؛ حيث أعقبت واو القسم في « وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ » الفاء العاطفة في « فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ »، ثم جاءت واو القسم في « وَٱلنَّٰشِرَٰتِ »، وأعقبتها الفاء في « فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ » و« فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ »، وقد أنتج العدول في الحروف توسيعًا في المعنى؛ فقد ذهب العلماء في تأويل الآيات الكريمة وسبب العدول في الحروف مذاهب عدة أشهرها مذهبان؛ أولهما: أن المرسلات من الرياح والملائكة، وتكون عرفًا لأجل إلقاء المعروف من القرآن والسنة وغيرهما من الإحسان، أو تكون عرفًا حال

[1] - زهرة التفاسير، أبو زهرة، ص 3735.

[2] - التفصيل في إعراب آيات التنزيل، عبد اللطيف محمد الخطيب، سعد مصلوح، رجب حسن العلوش، 138/12.

[3] - تفسير الفخر الرازي، محمد الرازي، 36/18.

كونها - الرياح والملائكة - متتابعة متكاثرة بعضها في أثر بعض، وتكون «فَٱلْعَٰصِفَٰتِ »؛ أي الشديدات من الرياح عقب هبوبها ومن الملائكة عقب شقها للهواء، والفاء للتعقيب، وأما « وَٱلنَّٰشِرَٰتِ » فهي تدل على التعقيب بمهلة؛ ولما كان نشر الرياح للسحاب متراخيًا عن هبوبها ومتباطئًا في الثوران وكذا نشر الملائكة لأجنحتها عطف بالواو الصالحة للمعية والتعقيب بمهلة وغيرها، وأما « فَٱلْفَٰرِقَٰتِ » فإن الفاء الفصيحة طوت ذكر أشياء كثيرة - للسحاب والملائكة - فقوله .تعالى :« فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا »؛ أي للسحاب حتى يخرج الودق من خلاله وللأجنحة و بين الحق والباطل والحب والنوى، وغيرذلك من الأشياء، وأما الفاء في « فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا » فهي للترتيب والتعقيب أيضًا؛ فلما كانت عقب الفرق ينزل منها ما في ذلك السحاب من ماء أو ثلج أو برد أو صواعق أو غير ذلك مما يريده الله؛ مما يبعث على ذكر الله، ولا بد، والملائكة تلقي ما معها من الروح المحيي للقلوب، قال معبرًا بفاء التعقيب « فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا »[1].

وثانيهما: أن المرسلات والعاصفات طوائف من الملائكة، والناشرات والفارقات والملقيات طوائف أخرى منها، ويكون المعنى أن الله ـ تعالى ـ أقسم بالطوائف الأولى التي أرسلت بأمره ــ تعالى ــ فعصفن في المضي كما تعصف الرياح امتثالًا لأوامره عزوجل، و أقسم بالطوائف الأخرى وهي طوائف أخرى من الملائكة نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي، ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرًا إلى الأنبياء عليهم السلام [2]. وبالنظر إلى التفسيرين تبدو دقة الأسلوب القرآني، وبلاغته، وملاءمته للسياق؛ إذ ينتج العدول باستخدام حرف العطف «الفاء» على القولين التعقيب والسرعة. وعلى القول الثاني بأنهما نوعان من الملائكة، نجد أن « وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا، فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا،» نوع من الملائكة، أعقب القسم بعد الواو العطف بالفاء، وأن « وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا، فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا، فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا، » نوع آخر أعقب معهن القسم بعد الواو العطف بالفاء؛ لتكون الواو لعطف الأجناس والأنواع، والفاء لعطف الصفات والهيئات.

كذلك كسر أفق التوقع عند المتلقي باستخدام حروف العطف في استخدام

[1] - ينظر نظم الدرر، البقاعي، 166/21(بتصرف).

[2] - ينظر: روح المعاني، الألوسي، 169/29 (بتصرف).

أسلوب القسم، في قوله .تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا، وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا، وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا، فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا، فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ (النازعات: ١ – ٥)؛ فقد ذكر الآيات الأول الثلاثة مسبوقة بالحرف الواو، ثم صدرت الآيتان بعدها بحرف الفاء، وقد دارت أقوال المفسرين في تأويل الآيات السابقة حول عدة معان، مستنبطة من السياق والمعنى اللغوي لها، منها الملائكة، الكواكب، الأرواح البشرية، صفات خيل الغزاة؛ فهي نازعات لأنها تنزع في أعنتها نزعًا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها، أيدي الغزاة يقال للرامي نزع في قوسه، مراتب الملائكة المتفاوتة في ماهيتها ونوعها، لا في صفاتها وعوارضها؛ وبالتالي في مراتب المعرفة، وفي درجات التجلي ([1]). والذي عليه أكثر المفسرين أنهم الملائكة، وبقي أن نتعرف الغرض البلاغي لمجيء الفاء بعد الواو. وقد عملت الفاء على توسيع المعنى في الآيات الكريمة، فيجوز أن تكون الفاء في "فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا » مسببة عن التي قبلها؛ أي واللاتي سبحن فسبقن، وفي قوله .تعالى :« فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا » كانت الفاء مسببة أيضًا عما قبلها، و«لا يبعد أن يقال: إنهم لما كانوا سابقين في أداء الطاعات متسارعين إليها ظهرت أمانتهم؛ فلهذا السبب فوض الله إليهم تدبير بعض العالم كاختلاف الفصول، وتقدير الأزمنة، كذلك يجوز أن يكون هناك نوعان من الملائكة أقسم الله . تعالى بهما ، وأن الملائكة قسمان: ملك الموت هو الرأس، و الرئيس و سائر الملائكة هم التلامذة، وعليه يكون النازعات، والناشطات، والسابحات، هم الذين يباشرون العمل بأنفسهم، والسابقات والمدبرات إشارة إلى الرؤساء الذين هم السابقون، في الدرجة والشرف، وهم المدبرون لتلك الأحوال والأعمال ([2]). وتبدو البلاغة القرآنية في دقة استخدام حرف العطف؛ فقد استخدم الواو مع نوع من الملائكة، والفاء مع النوع الآخر.

وقد ذهبت بعض الآراء أن « وَٱلنَّٰزِعَٰتِ » الملائكة التي تنزع أرواح الكافرين، وأن «وَٱلنَّٰشِطَٰتِ» الملائكة التي تقبض أرواح المؤمنين برفق، وأن « وَٱلسَّٰبِحَٰتِ » الملائكة التي تسبح في السماء بأمر ربها؛ أما « فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا، فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا» فهي الملائكة التي تسبق بالأرواح إلى مستقرها، وتنزل بتدبير ما أمرت به. فيكون العطف «بالواو ثم

[1] - ينظر: تفسير الفخر الرازي: الرازي، 28/31، 33.

[2] - ينظر: المرجع السابق، 33/31، 34.

بالفاء؛ لأن الواو تدل على المغايرة، والمراد هنا تغاير الصـــفة الدالة على تغاير الذات، والفاء تدل على ترتيب ما بعدها على ما قبلها، والمراد هنا ترتيب الأحوال على ما قبلها» ([1]).

[1] - التفسير المنير، (الهامش)، وهبة الزحيلي، 400/15.

المبحث الثاني:
كسر أفق التوقع وتقارض الحروف

تناولت الكثير من الدراسات الحروف من باب التقارض، وأن الحروف يتعاور بعضها بعضًا، غير أن الأمر في الأسلوب القرآني المعجز يختلف؛ فدلالة الحرف المستخدم تأخذ دلالة الحرف المعدول عنه (المتوقع) وزيادة، وهو في موضعه أفصح في الأسلوب، وأحكم في السياق، وأمنع للتوهم. ولا يصح أن نقول إن الحرف المستعمل كأنه الحرف المعدول عنه وفقط، بل يؤدي معنى المعدول عنه، ووجود المعدول عنه في السياق لا يصح بحال من الأحوال. والصفحات القليلة الآتية يحاول البحث فيها استكناه معرفة بعض الشواهد القرآنية، واللطيفة البلاغية التي صرفت الحرف من المتوقع إلى اللامتوقع.

أولًا. «عن» وكسر أفق التوقع:

يقف العقل مشدوهًا أمام البلاغة القرآنية حين يخرج الكلام عن المألوف في استخدام الحروف؛ فيكسر أفق التوقع عند المتلقي، ويظل المتلقي مشغولًا بالأسباب والدلالات التي أنتجها العدول في الحروف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ (الواقعة: ١٩)؛ أي عن خمر أهل الجنة. وقد نفى الله تعالى «عنها بهذين اللفظين جميع عيوب الخمر، وجمع بقوله: «وَلَا يُنزِفُونَ» عدم العقل، وذهاب المال، ونفاد الشراب»[1].

والحرف الكاسر للتوقع في موضعه (عن) في «نم »؛ فقوله تعالى: «لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا"؛ أي: بسببها، وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها، أو لا يفرقون عنها«[2]. وقد يتوقع المتلقي لا يصدعون منها، أو بها، غير أن التعبير بعن في هذا السياق رفع توهمًا يقع

[1] - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص7.

[2] - الكشاف، الزمخشري، ص1076.

باستعمال أي أداة للسبب غير عن؛ إذ «لو قال لا يصدعون بها، ولا ينزفون بها، لأفهمت الملابسة والمصاحبة في الباء نفي الصدع والنزف حال شربها، ولم تتفهما عقبه كأثر من آثارها. فاستدعى كمال المدح (عن) دون غيرها» ([1])، ولترفع توهم أن يكون الصدع حال شربها فقط، بل لا صداع حال شربها، وبعده.

كذلك لو جاء السياق لا يصدعون بها أو منها، لتوهم أنهم لا يصدعون لقوة منهم، وكان ذلك مدحًا لهم، غير أن «المراد ههنا بيان خمرة الآخرة في نفسها وبيان ما عليها؛ فالنظر وقع عليها لا على الشاربين. ولو كان المقصود أنهم لا يصدعون عنها لوصفٍ منهم لما كان مدحًا لها، وأما إذا قال هي لا تصدع لأمر فيها يكون مدحًا لها، فلما وقع النظر عليها قال عنها» ([2]).

كذلك في قوله .تعالى. ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ٥٣﴾(هود: ٥٣)، يجوز أن تكون عن في « عَن قَوۡلِكَ"، «للتعليل، ويجوز أن تكون حالًا من ضمير« بِتَارِكِيٓ»؛ أي ما نتركها صادرين عن قولك»([3])، وهي الكلمة الكاسرة لأفق التوقع عند المتلقي؛ فقد ينتظر المتلقي (لقولك)، غير أن عن في سياقها رفعت توهمًا قد يقع بذكر اللام؛ ففي قوله .تعالى .« عَن قَوۡلِكَ" «كأنهم أرادوا أن ينفوا أمرين، لا أمرًا واحدًا، أنهم لن يتركوا دينهم، ولن يقبلوا فيه جدالًا، والثاني أنهم لن يصدروا عن رأيه وقوله، وليس هو بذي الرأي فيهم ولا بمنزلة من يتبع, وهو ما أكدوه بقولهم: « وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ». وذلك أبلغ من اللام في موضعها؛ لأنه مع اللام يكون المنفي أمرًا واحدًا معللًا بقول، ويكون المعنى: لن نترك ديننا من أجل قولك، ومفهومه أنهم على استعداد لترك دينهم لو جاءهم غيره ببينة أو ضح، وكان مقبولًا لديهم؛ وذلك ليس شأن المعاند المتمسك بدينه تمسكا أعمى لا يقبل فيه رأيًا، ولا يقنع بحجة» ([4])؛ فكأن العدول عن اللام إلى عن أكد شدة عنادهم، وجحودهم نبوة هود بالكلية، وعدم إطاعته في هذا الأمر أو في غيره.

---

[1] - من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، محمد الأمين الخضري، ص 316.

[2] - مفاتيح الغيب، الرازي، 29/ 152، 153.

[3] - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، 169/1.

[4] - من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، محمد الأمين الخضري، ص314.

و أيضًا قد يكسر أفق التوقع عند المتلقي في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ (النجم:3)؛ إذ ينتظر المتلقي (بالهوى)، وقد عمل الحرف عن على التوسع الدلالي؛ فقد تكون (عن) «بمعنى الباء... وقيل: على حقيقتها؛ أي: وما يصدر قوله عن هوى. وقيل: للمجاوزة؛ لأن نطقه متباعد عن الهوى، ومتجاوز عنه» [1]، غير أن استعمال السياق القرآني للحرف (عن) منعا توهمًا قد يقع، وعمل على إنتاج أكثر من معنى؛ إذ لو استعمل السياق (بالهوى) لتوهم المعاند أنه «ربما لا يتلبس لسانه بالنطق بهذا الهوى ولكن قلبه مفعم به ويحتويه، و أنه يخاف من النطق به أو يخفيه لسبب آخر... ولكن المهم هو أنه لا ينطق به ولا يلتبس به – بالهوى - (هذا مع حرف الباء). أما (لا ينطق «عن» الهوى) فينفي كل ذلك؛ حيث (يبعد) الهوى عن قلبه ولسانه وكل كيانه؛ وهو ما يشير إليه الحرف (عن)» [2].

ثانيًا. «الباء» وكسر أفق التوقع:

تكسر الباء أفق التوقع عند المتلقي؛ وذلك إذا جاءت في سياق توقع المتلقي غيرها؛ وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿۞وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٥). والحرف الكاسر للتوقع الباء في « بِقِنطَار » و« بِدِينَار »؛ حيث ينتظر المتلقي (على قنطار) و(على دينار)؛ لاسيما أنها جاءت في سورة يوسف ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ﴾ (يوسف: ١١) «وقد أجيز التركيبان؛ «يقال: أمنته بكذا وعلى كذا، كما يقال مررت به وعليه؛ فمعنى الباء إلصاق الأمانة، ومعنى على استعلاء الأمانة» [3]. وبمحاولة الكشف عن لطيفة بلاغية لاستعمال حرف الباء في ذلك الموضع دون على كما في سورة يوسف، نجد أثر السياق في استخدام الحرفين في موضعها؛ فإن

[1] - البرهان، الزركشي، 287/4.

[2] - موسوعة إعجاز الحرف في القرآن، سامح القليني، 466/2، 467.

[3] - مفاتيح الغيب، الرازي، 111/8.

نبي الله يعقوب كان يخشى على ولده من الذئب؛ أما الآية الكريمة موضوع الدراسة، «فقد جاءت في سياق لا يخشى فيه على المؤتمن من عدوان خارجي يتطلب إشراف المؤتمن، وحفاظه عليه منه، واستعلاءه بقوته وفكره؛ دفاعًا عمَّا أؤتمن عليه؛ وإنما هو موضع يخشى فيه على الأمانة من ذات المؤتمن، وقربه من الأمانة والتصاقه بها، وتمكنه من حيازتها لنفسه، هو الذي يكشف عن نزاهته أو خيانته، الأمر الذي امتدح الله من أجله فريقًا من أهل الكتاب لم تغرهم كثرة المال الذي بين أيديهم بالسطو عليه ومنعه صاحبه، وذم الله فريقًا آخر لم تمنعهم قلة ما وضع بأيديهم مؤتمنين عليه من حيازته لأنفسهم، والامتناع عن رده إلى صاحبه، إلا إذا أجبروا على ذلك» ([1]).

كذلك كسرت الباء التوقع في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعارج:١)؛ إذ يتعدى الفعل سأل بنفسه، أو بعن، أو بإلى، وقد تعدى الفعل سأل في الآية الكريمة السابقة بحرف (الباء)، وتعدية الفعل بالباء عمل على توسيع المعنى، ومو افقة السياق وأسباب النزول؛ فيجوز أن تكون سأل بمعنى دعا؛ «أي دعا داع، فالسؤال بمعنى الدعاء ولذا عدي بالباء تعديته بها» ([2])، وإليه ذهب كثير من المفسرين، ويصح أن تضمن سأل معنى بحث، والباء معنى عن؛ فقد جاء في البحر المحيط «وقيل: المعنى: بحث باحث واستفهم، قيل: فالباء بمعنى عن» ([3])، ويجوز أن يكون «ضمن سأل معنى دعا فدعى تعديته، كأنه قيل: دعا داع « بِعَذَابٍ وَاقِعٍ»([4]). وتضمين السؤال بمعنى الدعاء من القوة بمكان، وهو ما يو افق أسباب النزول، فقد روي أنها «نزلت في النضر بن الحارث حين قال: «... ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ..." (الأنفال: ٣٢) الآية. فدعا على نفسه وسأل العذاب، فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل صبرًا، ونزل فيه: « سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ»» ([5])، كذلك وقد يضمن سأل معنى «النجز والاستعجال... ؛ فالكفار من باب التهكم والاستهزاء، يتحدون رسول الله - صلى الله عليه وسلم-

[1] - من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، محمد الأمين الخضري، ص182.

[2] - روح المعاني، الألوسي، 58/29.

[3] - البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 326/8.

[4] - الكشاف، الزمخشري، ص1138.

[5] - أسباب نزول القرآن، الواحدي النيسابوري، ص475.

ويستنجزونه وعده بوقوع العذاب واستعجاله استنجز مستنجز بعذاب واقع» [1]. كذلك قد تكون الباء بمعنى عن، ويتضمن سأل معنى عني واهتم، وهو ما ذهب إليه الحسن وقتادة حين قالا «لما بعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - وخوف المشركين بالعذاب، قال المشركون بعضهم لبعض سلوا محمدًا لمن هذا العذاب وبمن يقع، فأخبره الله عنه بقوله « سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ»؛ قال ابن الأنباري: والتأويل على هذا القول « سأَلَ سَآئِلٌۢ » عن عذاب والباء بمعنى عن، كقوله:

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيب» [2].

وعليه فقد عملت دلالة الحرف (الباء) في موضعها على توسيع المعنى، بالتقارض بينها وبين حرف جر آخر، أو بتضمين الفعل سأل أفعالًا أخرى كدعا، وطلب، واهتم، واستعجل، أو إنتاج التهكم والسخرية من النبي صلى الله عليه وسلم، أو حتى أن يكون السائل النضر أو الكفار أو غيرهما، وكذلك عملت على مراعاة السياق وأسباب النزول، «ولولا الباء لانصرف السؤال إلى حقيقته وهو الاستفتاء وطلب المعرفة، ولخفي عنا غرض السائل المستنجز، فقد ضم إلى السؤال طلب العذاب واستعجاله برفع العقيرة تهكما وسخرية، والتضمين تعريض بالمعنى وتلويح به وهو أحلى من التصريح وأدمث» [3].

كذلك تكسر الباء التوقع عند المتلقي في قوله .تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (الإنسان: ٦)، وقوله . تعالى ﷻ ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين: ٢٨). « أي منها» [4]، وقد ينتظره المتلقي؛ ولاسيما أنها جاءت في سورة الإنسان في الآية التي قبلها :﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (الإنسان: ٥). وقد وسعت الباء في السياق المعنى؛ فقد تكون للإلصاق؛ «فقد وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولًا وبحرف الإلصاق آخرا؛ لأن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته؛ وأما العين فبها

[1] - التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل، ص391.

[2] - مفاتيح الغيب، الرازي، 121/30.

[3] - التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل، ص392.

[4] - شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية، ابن هشام الأنصاري، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن، 2007، 250/2.

يمزجون شرابهم. فكان المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل» [1]. ويجوز أن تعمل الباء على التضمين، أو أن تكون على حقيقتها، وهو ما أورده الزركشي، حين قال: «ضمن «يشرب» معنى «يروي»؛ لأنه لا يتعدى بالباء، فلذلك دخلت الباء؛ وإلا فـ «يشرب» يتعدى بنفسه، فأريد باللفظ الشرب والري معًا، فجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ واحد، وقيل: التجوز في الحرف؛ وهو الباء؛ فإنها بمعنى (من)، وقيل: لا مجاز أصلًا، بل العين هاهنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء؛ لا إلى الماء نفسه، نحو: نزلت بعين، فصار كقوله: مكانًا يشرب به» [2].

وكون الباء على حقيقتها، ولا مجاز فيها، تقيم من خلال التركيب صورة حية متحركة مرئية؛ حيث «نجد في الباء هنا دلالة تهمس بأن العين هي مستراحهم، والمكان الذي يجدون فيه متعة العين، وسعادة النفس، فالكأس بأيديهم وهم على حافة العين يشربون، كلما فرغت الكأس ملئوها منها، ولذة الشرب ممزوجة بلذة العين. ويؤيده وصف القرآن للجنات « تجري من تحتها الأنهار»، وليس جريان الأنهار تحت المؤمنين إلا متاعًا لأنظارهم، وإسعادًا لأنفسهم وليس لمجرد الشرب دنت منهم الأنهار» [3].

وهو ما يدفع بنا إلى أن نقول: إن الباء في موضعها - فضلًا عن التوسع الدلالي - يصح أن تسهم في إنتاج معنى نفسي؛ فـ «دخول الباء هنا لا يقصر الدلالة على معنى الشرب فقط، بل يضيف إليه فضاءات دلالية أخرى تضفي على الشرب جوًّا من النشوة الروحية والحسية، كدلالة الالتذاذ والمتعة؛ حيث تصير العميقة للصياغة: (فيشربون منها فيلتذون بها)، ودلالة الارتواء والشبع، تكون البنية العميقة: يرتوي بها عباد الله» [4].

ثالثًا. «في» وكسر أفق التوقع:

كذلك يكسر حرف الجر (في) التوقع عند المتلقي؛ وذلك إذا انتظر المتلقي غيرها موضعها؛ وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ

[1] - الكشاف، الزمخشري، ص1163، 1164.

[2] - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 3/338، 339.

[3] - استثمار الأسلوب العدولي في تذوق النص القرآني، عيد محمد شبايك، ص72.

[4] - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

قِيَـٰمًا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ (النساء: ٥). وقد ينتظر المتلقي (وارزقوهم منها)، لاسيما أن الفعل رزق ركب مع الحرف (من) سبع عشرة مرة؛ وذلك في مثل قوله . تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ (النساء: ٨). ولم يركب مع الحرف (في) إلا في هذا الموضع، هو الآية موضوع الدراسة. وقد أورد أبو حيان في البحر المحيط أن ثمة تقارضًا في(في)، فذكر «وقيل: «في» بمعنى من؛ أي منها» ([1]). وتبدو البلاغة القرآنية في استعمال (في) في هذا الموضع دون (من)؛ فإن استخدمت (من) في هذا الموضع كانت للتبعيض، وأوحت بنقصان المال، والأخذ من أصله؛ أما استخدام (في) في « وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا »، يكون معناها «اجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق» ([2]).

وعليه، لا تكون في بمعنى من؛ و إنما تكون في رادعة أن ينفق الولي من رأس المال فلا يبقى عليه، بل من الربح الناتج من الأصل. «وهذا المعنى نشأ من تركيب الفعل مع حرف الظرفية، فجعل الأموال مكانا للرزق» ([3]).

كذلك تكسر (في) أفق التوقع عند المتلقي في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ٦١﴾(المؤمنون: ٦١).؛ فقد ينتظر المتلقي (إلى الخيرات)؛ لاسيما أنه ذُكر: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ...﴾ (آل عمران: ١٣٣)، ووجود (في) في السياق عمل على توسيع المعنى، و إنتاج لطيفة بلاغية، ومن توسيع المعنى تضمين معنى « يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ « يبادرون بها» ([4]). وقد يضمن الفعل يسارعون يرغبون؛ فقد تحتمل الآية «معنيين أحدهما: أن يراد يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها، والثاني أنهم

[1] - البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 3/ 178.

[2] - الكشاف، الزمخشري، ص 219.

[3] - القرآن وتفاعل المعنى، محمد داود، 2/ 164.

[4] - فتح القدير، الشوكاني، ص986.

يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الإكرام» ([1])، ويجوز أن تضمن " يُسَٰرِعُونَ" «معنى يسابق ويجد ... فهي ألصق بالمراد من (رغب)؛ لأن الرغبة لاتزال في حيز النية لم تتحول إلى عزيمة أو تنفيذ، أما الجد والتسابق فهو آثر في أنفسهم، تأهبوا له، ونشموا فيه، ومارسوه ... فهم أوائل في فعل الخير» ([2]).

ومن اللطائف البلاغية التي تنتجها (في) في موضعها، شدة التكريم لأهل الإيمان؛ وذلك بجعلهم متمكنين من الخيرات؛ فالسياق القرآني «غيّر الأسلوب؛ حيث لم يقل أولئك يسارع لهم في الخيرات، بل أسند المسارعة إليهم؛ إيماء إلى استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن أعمالهم، وإيثار كلمة في على كلمة إلى للإيذان بأنهم متقلبون في فنون الخيرات؛ لا أنهم خارجون عنها متوجهون إليها بطريق المسارعة» ([3]).

كذلك كسر حرف الجر في أفق التوقع عند المتلقي في قوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي٢٩﴾ (الفجر: ٢٩)؛ فقد ينتظر المتلقي (مع عبادي). وهو ما جعل بعضًا من العلماء يضمنون معنى(في) (مع)، «فالظرفية حقيقة وتؤول إلى معنى المعية كقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا٦٩﴾ (النساء: ٦٩)» ([4])، ويجوز أن تكون (في) في موضعها على حقيقتها، ويقدر في السياق محذوف؛ « أي في زمرة الصالحين الوافدين عليّ، الذين هم أهل للإضافة إليّ، أو في أجساد عبادي التي خرجت في الدنيا منها» ([5]). ثم لطيفة بلاغية لاستخدام السياق القرآن الكريم (في) في قوله . تعالى : " فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي" وهي المبالغة في تكريم تلك النفس المطمئنة التي تنتجها في في هذا الموضع. «ولو قال الله ادخلي مع عبادي لما أفاد غير الصحبة في الدخول فقط ... لكن النظم القرآني يريد تكريمًا خاصًّا لهذه النفس المطمئنة (وقبل دخولها الجنة). وهذا التكريم بأن يستقبلها عباده الأبرار في حفلة تكريم على باب الجنة، وتدخل هذه النفس فيهم وهم يحيطونها من كل

[1] - الكشاف، الزمخشري، ص710.

[2] - التضمين النحوي في القرآن، محمد نديم فاضل، ص405، 406.

[3] - روح المعاني، الألوسي، 45/18.

[4] - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 30/ 344. وينظر البرهان، الزركشي، 4/ 302.

[5] - نظم الدرر، البقاعي، 43/22، 44.

الجهات»([1]).

رابعًا. «على» وكسر أفق التوقع:

كذلك يكسر الحرف (على) أفق التوقع عند المتلقي؛ وذلك إذا انتظر المتلقي حرفًا غيره، يتوهم المتلقي مناسبته للسياق اللغوي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (الرعد:6) ؛ فإن على في « عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ» تؤدي معنى «المصاحبة كمع» ([2])، غير أن على في السياق القرآني الجليل أنتجت لطائف بلاغية، ما كانت تتولد مع غيرها؛ فقد أنتجت دلالة (مع) معنيين مختلفين: معنى يخص الخالق جل وعلا، ومعنى يخص المخلوق المفرط؛ فقد ألمحت (مع) «أن الناس على ظلم وملازمون له ملازمة الراكب لمركوبه، وإن الله غفور رحيم، يتجاوز عن ظلمهم، ويغفر لهم؛ على الرغم من تربعهم على الظلم، ومعنى «فلان على الظلم» يختلف عن معنى «فلان مع الظلم» قوة وشدة وتمكنًا؛ إذ هو مستقر عليه ودائم على ممارسته» ([3]).

كذلك قد تنتج على أنه مع شدة ظلم هؤلاء الناس فإن الله لذو مغفرة لهم؛ «بما يوحي به حرف الاستعلاء من تغلب المغفرة على الذنوب، وقهر العفو للعقاب؛ لذلك قال ابن عباس: ليس في القرآن أرجى من هذه الآية» ([4]).

وإذا كانت (على) في الآية الكريمة السابقة أعطت معنى مع وزيادة؛ فإنها في آية أخرى تعطي معنى من وزيادة؛ وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ (المطففين: ٢). وقد تعمل (على) في موضعها على التوسع الدلالي؛ فقد ضمنت (على) معنى (من)؛ «أي من الناس» ([5]). وقيل: التضمين في الفعل « ٱكْتَالُوا۟ »

---

[1] - موسوعة الإعجاز الحرفي في القرآن، سامح القليني، 424/2.

[2] - مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، 164/1.

[3] - مباحث في لغة القرآن الكريم وبلاغته، عائد كريم علوان الحريزي، العراق، 2008، ص 134, 135.

[4] - من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، محمد الأمين الخضري، ص74, 75.

[5] - معترك الأقران، أبو الحسن الماوردي، 670/2.

«أي: إذا حكموا على الناس في الكيل» ([1])، وهو بعيد. وتبدو اللطيفة البلاغية واضحة ظاهرة في التقارض بين (على) و(من)، تلائم سياق المقام؛ إذ «لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالًا يضرهم ويتحامل فيه عليهم، أبدل على مكان من للدلالة على ذلك» ([2]). ثمن ذلك المعنى استعمال القرآن الكريم للفظتي « ٱكْتَالُواْ » و« كَالُوهُم » في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ٣﴾ (المطففين: ٣)؛ فبينما تعدت « ٱكْتَالُواْ » بعلى بدل من، تعدت « كَالُوهُم » بنفسها دون حرف جر، والمعنى «وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم» ([3]).

كذلك بنية الكلمتين اللتين زادت حروفهما في « ٱكْتَالُواْ » الدالة على الأخذ، وقلت في « كَالُوهُم » الدالة على عطاء المستحق، تظهر«وقعًا خاصًّا؛ ذلك أن إنقاص الحروف وتقليلها كأنما يشي بالسرقة و إنقاص الكيل في الوفاء لهم، وأن زيادة المبنى في صيغة الاكتيال وتعديها بحرف الاستعلاء، مما يشي بالزيادة في استيفاء الكيل منهم قهرًا واغتصابًا؛ مما تتناغم في الألفاظ مع المعاني تناغمًا لا يحدث مثله في نظم غير نظم القرآن الكريم» ([4]).

خامسًا .«إلى» وكسر أفق التوقع:

تكسر (إلى) أفق التوقع عند المتلقي في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا٢﴾ (النساء: ٢)؛ فقد يتوقع المتلقي «مع أموالكم» ([5])، و«إلى » في سياقها أبلغ و أفصح؛ إذ «لما كان معنى الأكل ههنا الضم والجمع لا حقيقة المضغ والبلع عداه بإلى؛ إذا المعنى لا تجمعوا أموالهم إلى أموالكم» ([6])، وأكل أموال اليتامى كناية عن أخذ أموال اليتامى،

[1] - الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، ص 478.

[2] - الكشاف، الزمخشري، ص 1186.

[3] - مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، مكتبة الخانجي بمصر، 14/1.

[4] - من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، محمد الأمين الخضري، ص95.

[5] - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص 571.

[6] - شرح المفصل، ابن يعيش، 8/ 15.

وسرقتها، «ولو كانت مع بدلًا من إل،ى لفهم منه أنه نهى عن إضاعة أموال اليتامى مع أموال الأوصياء؛ أي أنه خلط بين الاثنين معًا وأضاعهما، ولا يشمل النهي عن أخذ مال اليتيم وإضافته إلى مال الوصي، بما يفيد أكل مال اليتيم فحسب، وهو المقصود من النهي ابتداء، وقوله «وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إ» ([1]).

كذلك يكسر أفق التوقع عند المتلقي في قوله تعالى: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ١٨﴾ (النازعات: ١٨)؛ فقد ينتظر المتلقي (هل لك في أن تزكى)، وقيل: المعنى: بل أدعوك إلى أن تزكى ([2]). ويجوز أن تكون إلى «بمعنى اللام» ([3]). وقد تعمل دلالة «إلى» على التوسع؛ فقد يكون قوله .تعالى .«هل لك» خبر مبتدأ مضمر. و«إلى أن تزكى » متعلق بذلك المبتدأ، وهو حذف سائغ، والتقدير: هل لك سبيل إلى التزكية، ومثله: هل لك في الخير، تريد: هل لك رغبة في الخير؛ قال: فهل لكم فيها إليَّ فإنني بصير بما أعيا النطاسي حذيما (الطويل) ([4]).

وعليه، فإنه يجوز أن تنتج إلى في سياقها معنى ترغب؛ ليكون المعنى هل ترغب إلى أن تزكى؛ وذلك «أن الرغبة حين تعدى بها تدل على توجه الراغب إلى المرغوب والسعي إليه وترك ما هو فيه، متجهًا إليه، قاصدًا نحوه، غير معرّج على سواه، وهو ما يقصد إليه النظم هنا دالًّا على طلب موسى من فرعون ترك دنيا الكف، والاتجاه إلى الله، كما يدل عليه قوله بعد ذلك ﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ١٩﴾ (النازعات: ١٩). وهو ما دلت فيه إلى على رغبة موسى في إيصاله إلى ربه؛ دون أن يقول: وأهديك لربك، غير مكتف بأن يدله عليه حتى يصل به إليه» ([5]).

سادسًا .«اللام» وكسر أفق التوقع:

تكسر اللام أفق التوقع عند المتلقي؛ وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي

[1] - موسوعة إعجاز الحرف في القرآن، سامح القليني، 2/ 266.

[2] - ينظر: البرهان، 234/4، والجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، ص388.

[3] - اللمحة البدرية في علم اللغة العربية، ابن هشام الأنصاري، 243/2.

[4] - اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، 136/20، 137.

[5] - من أسرار حرف الجر في الذكر الحكيم، محمد الأمين الخضري، ص288.

صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَرُ ۖ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٤٣﴾) (الأعراف: ٤٣).

ففي « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا »؛ «أي إلى هذا» ([1])، وتعدية الفعل (هدى) باللام جاء على القياس، «والقرآن يتفنن في التعبير فيستخدم (إلى) تارة، واللام تارة، ويعدي الفعل بنفسه تارة أخرى، وكلها لغات تكلم بها العرب الفصحاء» ([2])، وتبدو اللطيفة البلاغية واضحة جلية في استخدام اللام في هذا السياق، وأشباهه؛ وذلك في مثل قوله تعالى: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴿١٧﴾) (الحجرات: ١٧)؛ فـ«توحي اللام فيهما بتوفيق الله للمؤمنين، وتهيئة نفوسهم وقلوبه للإيمان والعمل الصالح، واختصاصهم بهذا الطريق دون سواه من سبل الشر والغواية» ([3]).

و أيضًا تكسر اللام أفق التوقع عند المتلقي في قوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴿١١﴾) (الأحقاف: ١١)؛ «أي عن الذين آمنوا، وليس المعنى خطابهم بذلك، وإلا لقيل: (سبقتمونا)... والتفت عن الخطاب إلى الغيبة» ([4])، وقول الزركشي: «والتفت عن الخطاب إلى الغيبة» هي النكتة البلاغية التي سوغت تعدي الفعل باللام لا بعن، وجعلت اللام في سياقها أفصح؛ إذ نزلت الآية في وجهاء الكافرين الذين عابوا فقراء المؤمنين؛ فقد «قال ناس من المشركين نحن أعز ونحن، فلو كان خيرًا ما سبقنا إليه فلان وفلان، فنزل: « وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ » ([5]).

والآيات جاءت في سياق المواجهة بين وجهاء المشركين ورقاق الحال من المسلمين،

[1] - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص572.

[2] - القرآن وتفاعل المعنى، محمد داود، 36/2.

[3] - من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، محمد الأمين الخضري، ص224.

[4] - البرهان، الزركشي، 342/4.

[5] - أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، ص323.

وصـوره السـياق في « وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ »، ثم عدل السـياق عن تلك المواجهة، إلى الالتفات في قوله تعالى: « لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ»، «وهو ضرب من الالتفات آثره القرآن الكريم؛ لإبراز صـور التعالي والغطرسـة، ونظرة الاسـتخفاف التي كان يرمق بها المشركون ضعفاء المسلمين؛ فانظر كيف يضيع هذا الغرض لو قال: لو كان خيرًا ما سـبقتمونا إليه، وكيف يفسـد هذا المعنى لو قلت: وقال الذين كفروا عن الذين آمنوا؛ لأنـه يصـبح نوعـا من الحـديـث عنهم، لا لهم مع أن الآيـة حوار بين المسـلمين والمشركين، واللام هنا لاتزال تحمل معنى اختصاص قولهم بمن وجه إليهم» [1].

[1] - من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، الخضري، ص252، 253.

المبحث الثالث:

كسر أفق التوقع والبناء الصوتي في القرآن الكريم

أولًا. البناء الصوتي وكسر أفق التوقع:

يكسر «الجانب الصوتي الذي قد يؤثر على المعنى، مثل وضع صوت مكان آخر»([1]) أفق التوقع عند المتلقي؛ وذلك إذا عدل الصوت عن المألوف الذي ينتظره المتلقي، والخروج على المألوف الصوتي في القرآن الكريم مرده إلى لطائف بلاغية، وأحكام ومعان فرضها السياق. وقد تعرض البحث إلى أشهر الآيات التي كسر المستوى الصوتي فيها أفق التوقع عند المتلقي، ومنها:

قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ٣٥﴾ (يونس: ٣٥). والكلمة الكاسرة لأفق التوقع «يهِدِّي»؛ فقد يتوقع المتلقي (يهتدي)، غير أن السياق القرآني الجليل أبدل التاء دالًّا، وأدغم الدالين؛ فصارت الكلمة « يهِدِّي ». وقد أنتج هذه الإبدال شدة في الصوت، وثقلًا ليس في كلمة (يهتدي)، وهذه الكلمة « يهِدِّي » «لم ترد إلا في هذا الموضع من القرآن. وقد دلت ببنيتها الصوتية وبنبرتها ونغمتها على التثاقل الذي يبدو على المتخاذلين الذين لا يهتدون أبدًا إلا أن يُهدوا، ولا يكادون يهتدون، بل الهداية مع التراخي الذي اتسموا به لا تتحقق في كل حال من أحوال حياتهم» ([2]).

بل إن حركية هذه الكلمة بالإدغام، والمفاجأة الصوتية أنتجت صورة حية و افقت فيها حركية الكلمة حركة الصورة وحيويتها؛ «وكأن التشديد قد جاء هنا ليبلغ رسالة خاصة تدور حول ملحظ في استعمال الفعل هو الدلالة على أن هذا الشخص المشار إليه لا يهتدي بنفسه، و أنه إذا جاء من يقوده إلى الطريق السوي لم يسلس قياده

[1] - علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط الخامسة، 1998، ص13.

[2] - نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: دراسة دلالية، دفة بلقاسم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بسكرة، الجزائر، 2009، ص16.

له، فكأن وصوله إلى الهداية آخر الأمر يأتي بعد أخذ ورد. وكأن الذي ندب نفسه لهدايته يأخذ بيده جذبًا إلى الغاية المرجوة، لكنه يحاول الإفلات منه، فما يصل به إلى الغاية إلا بعد مشقة. هذا ما يوحي به السكون الذي يسبق الحركة في التشديد، وهو إيحاء من طريق الحكاية» ([1]).

وأما في قوله تعالى: ﴿۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾ (هود: ٤١ – ٤٢). جاءت الكلمة « مَجۡرٖىٰهَا » في الآية الأولى، والتركيب «ٱرۡكَب مَّعَنَا» كاسرين للتوقع، على المستوى الصوتي؛ فقد جاءت الإمالة في كلمة « مَجۡرٖىٰهَا »، وجاءت الراء مرققة، ولم يحدث هذا في كلمة «وَمُرۡسَىٰهَآۚ»، وقد ناسبت الإمالة في الكلمة سياق المقام، وشارك الصوت في بناء تلك الصورة الفنية الرائعة؛ فإمالة الألف بعد الراء «تجعل الراء مائلة مرققة؛ لأنها تلفظ مكسورة، وتصور لنا ميلان سفينة نوح عليه السلام - وهي تجري بهم في موج كالجبال- كما تصور الراء المرققة هنا رقة وعطف ورحمة وحنان وشفقة لطف الله بنوح ومن معه؛ بالرغم من رهبة الطوفان» ([2]). كذلك الذي ثمن كسر التوقع في إمالة « مَجۡرٖىٰهَا» أنه لا توجد إمالة في كلمة « وَمُرۡسَىٰهَآۚ»، وهو أيضًا ما يلائم المشهد، ويعمل على بناء تلك الصورة الحركية؛ «لأنها تصور مشهد استقرار السفينة، ويكون تصوير الاستواء الذي ذكره الله . تعالى . «واستوت على الجودي»، والاستواء هو الاستقرار، ولكن يضاف إليه أنه الاستقرار دون انحراف أو تمايل، وهذا هو تمام النعمة وكمال النجاة» ([3]).

وأما في الآية الثانية فقد كسر التركيب « ٱرۡكَب مَّعَنَا » على المستوي الصوتي أفق التوقع عند المتلقي؛ إذ أدغمت الباء في الميم؛ لتنطق (اركمّعنا)، وقد لاءم نطق التركيب بالإدغام مدى السرعة والتلهف والشعور النفسي الذي يعالجه نبي الله نوح - عليه السلام - وهو يطلب من ابنه المعاند الركوب، وكأنه لا وقت لقلقلة الباء، ثم للنطق بالميم المتحركة

[1] - البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص287، 288.

[2] - الجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن الكريم، سامح القليني، ص 343.

[3] - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

بالفتح، وكأن إدغام الحرفين الذي أنتج التشديد يدعو ابنه إلى التقوي بالجماعة المؤمنة، والدخول فيها، والتخويف من شدة الموقف المنتظر بأهواله وعذابه؛ فما أبلغ ذلك التركيب الذي ساهمت طريقة صوته في بناء تلك الصورة حبة مشاهدة. وقد كسر المستوى الصوتي التوقع عند المتلقي في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (الكهف: ٦٣). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ١٠). والكلمتان الكاسرتان لأفق التوقع في الآيتين الكريمتين هما « أَنسَىٰنِيهُ » و« عَلَيْهُ »؛ فقد ينتظر المتلقي (أنسنيهِ) و(عليهِ) بالكسر؛ مناسبة للياء قبلها، فيتفاجأ بضم الهائين، ولضم الهاء في الكلمتين وجوه لغوية وبلاغية؛ منها:

أولًا. أن ضم الهاء في موضعها لغة عند العرب؛ إذ «تكسر الهاء في صورتين:

- بعد الكسرة، نحو: (مرّبه، أعطه، لم يعطه).
- بعد الياء الساكنة، نحو: (فيه، عليه، إليه، يرميه).

وكسر الهاء في الصورتين المذكورتين لغة غير الحجازيين؛ أما الحجازيون فلغتهم ضم هاء الغائب مطلقًا، وبها قرأ حفص قوله تعالى: « وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ » وقوله تعالى « بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ » ([1]).

ثانيًا. أن ضم الهاء في الآيتين جاء مراعاة للأصل؛ والكسر تخفيفًا، ومناسبة للياء قبلها، و«وجه الضم أنها هاء هو وهي مضمومة، فاستصحب ذلك، كما في له وضربه» ([2])، وجاء نطق الهاء على الأصل فيه.

ثالثًا ـ أن ضم الهاء في الآيتين الكريمتين ناسب سياق المقام فيهما؛ ففي آية سورة الكهف: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (الكهف: ٦٣). كان نسيان

[1] - النحو التطبيقي، خالد عبد العزيز، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط 3، 2019، ص227.

[2] - روح المعاني، الألوسي، 97/26.

موسى .عليه السلام .وغلامه شيئًا عجيبًا؛ فقد نسيا الحوت الذي هو علامة على ملاقاة العبد الصالح، وقد أخبرالله .تعالى .موسى .عليه السلام .أن علامة لقيانه العبد الصالح غياب ذلك الحوت، والأعجب نسيان يوشع بن نون غلام موسى .عليه السلام .الذي رأى الحوت، وقد دبت فيه الحياة، وهو الحوت الميت، المملح، الذي أكل بعضه، ثم اتخذ سبيله في البحر صانعًا في الماء طاقة لا تلتئم ثانية، ثم نسيانه أن يذكركل هذا لنبي الله موسى، وهو «نسيان ليس من شأنه أن يقع في زمن قريب، مع شدة الاهتمام بالأمر المنسي، وشدة عنايته بإخبارنبيه به. ومع كون المنسي أعجوبة من شأنها أن لا تنسى، يتعين أن الشيطان ألهاه بأشياء عن أن يتذكرذلك الحادث العجيب» ([1]). و افقت تلك الحالة العجيبة النادرة ندرة نطق هاء « أَنسَـٰنِيهُ » مضمومة لا مكسورة؛ فهو ليس نسيانًا مألوفًا لكي يأتي نطق الكلمة على المألوف.

وفي آية سورة الفتح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ١٠). نزلت الآية الكريمة في صلح الحديبية أو بيعة الشجرة أو بيعة الرضوان. وقد كانت بيعة قوية شديدة عظيمة؛ إذ بايع النبي ـ صلى الله عليه وسلم .الصحابة .رضوان الله عليهم .على الفتح أو الشهادة في سبيل الله؛ فعن يزيد بن أبي عبيد قال: «قلت لسلمة: على أي شيء بايعتم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم الحديبية؟ قال: على الموت» ([2])، كذلك دليل قوة تلك البيعة وعظمتها ما روي «عن سلمة ــ رضي الله عنه ــ قال: «بايعت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم عدلت إلى ظل شجرة، فلما خف الناس قال: يا بن الأكوع ألا تبايع؟ قال قلت: قد بايعت يا رسول الله، قال: و أيضًا. فبايعته الثانية. فقلت له: يا أبا مسلم، على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟ قال: على الموت» ([3]).

وأعظم البيعات البيعة على الموت، وهي بيعة لله ورسوله؛ «فالبيعة لله تستلزم التعظيم والتوثيق، والضم فيه دلالة على هذه المناسبة؛ ولذلك لو ورد الضمير المجرور

[1] - التحريروالتنوير، الطاهربن عاشور، 367/15.

[2] - صحيح البخاري، كتاب الأحكام، حديث رقم (7206).

[3] - صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم (2960).

في « عَلَيْهُ » مكسورًا حسب القاعدة المألوفة يكون ترقيقًا، وهو قد لا يتناسب والمقام، فالمعاهدة والوثاق عظيم على كاهل الصحابة، فكان للضم دور في إظهار الموقف وتصوير جسامته في صورة صوتية جمالية مناسبة» (1).

رابعًا ــ كذلك في آية سورة الكهف، دل صوت الضم في هاء «أَنسَىٰنِيهُ» على الأثر النفسي الذي عالجه غلام موسى ـ عليه السلام ـ وهو يذكر لنبيه نسيانه ذلك الأمر؛ إذ كون النطق خارجًا على المألوف يدعو المتلقي للوقوف على الشعور النفسي للمتكلم، يثمن ذلك آراء بعض العلماء في إعراب فاء « فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ»؛ فقد قيل: إن «الفاء عاطفة على مقدر، أو هي واقعة في جواب الشرط المقدر» (2)، وقيل: إن «الفاء استئنافية» (3). أما محيي الدين الدرويش فقد جعل «الفاء لتعليل الدهشة التي اعترتهما مما نابهما» (4).

خامسًا ــ كذلك في آية سورة الفتح مع عظم تلك البيعة وقوتها، يبدو تكريم الصحابة -رضوان الله عليهم - لكونهم المنوطين بهذه البيعة، وأن المعول عليهم لا على غيرهم في إنفاذها، «إنه جو تشريف وتكريم من الله الكريم للصحابة السعداء المبايعين. وبما أن الجو جو رفعة؛ فكأن «الرفعة» أصابت «الهاء» في « عَلَيْهُ »؛ فكأن من غير المناسب أن تبقى مكسورة؛ لأن الكسرة لا تناسب هذا الجو؛ ولذلك تحولت تلك الكسرة إلى «ضمة» والضمة مناسبة للرفعة» (5)؛ حتى لقد أطلق على هذه الهاء هاء الرفعة.

سادسًا ــ كذلك في آية سورة الفتح عند كسر هاء « عَلَيْهُ » يتحتم ترقيق نطق الكلمة الكريمة « ٱللَّهَ »، وفي ضم الهاء يتحتم تفخيم الكلمة المباركة، والتفخيم مناسب

---

[1] - نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: دراسة دلالية، دفة بلقاسم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بسكرة، الجزائر، 2009، ص 14.

[2] - التفصيل في إعراب آيات التنزيل، عبد اللطيف محمد الخطيب، سعد مصلوح، رجب حسن العلوش، ط الأولى، 2015، 376/15.

[3] - إعراب القرآن، سليمان ياقوت، ص 2746.

[4] - إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، 517/4.

[5] - لطائف قرآنية، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط الأولى،1992، ص48.

للسياق وأولى؛ إذ فيه دفع الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على إنفاذ بيعتهم، وتخويفهم، وعدم النزع مهما لاقوا.

أيضًا كسرت نون التوكيد الخفيفة في القرآن الكريم أفق التوقع عند المتلقي؛ وذلك في موضعين، هما: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ٣٢﴾ (يوسف: ٣٢)، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ١٥﴾ (العلق: ١٥).

وفي الآية الكريمة الأولى قد ينتظر المتلقي (وليكونن)؛ لمناسبتها للسياق اللغوي والكلمة القرآنية قبلها « لَيُسْجَنَنَّ »، إلا أن القرآن الكريم كسر أفق التوقع عند المتلقي؛ لمناسبة لسياق المقام، ولإظهار نكتة بلاغية تظهر الأثر النفسي عند امرأة العزيز؛ فالقرآن الكريم يعول على الألفاظ أوعية للمعاني. وقد ذهبت بعض الأطروحات إلى أن تقليل حروف الكلمة يوحي بسرعة الفعل وسهولته على الفاعل، وفي هذه الآية الكريمة جيء بنون التوكيد الخفيفة؛ «وذلك لتقليل بناء هذه الكلمة، وذلك ليوحي .. بسرعة تنفيذ الأمر، وإلى فوريته، وأن امرأة العزيز جادة في ذلك حاسمة في قرارها» ([1]).

ويتوقف الباحث في قبول ذلك الطرح؛ فهو وإن كان صحيحًا على بعض الآيات لا يصلح في جميعها؛ لاسيما إذا اختلفت السياقات. ولعل من البلاغة القرآنية لاستخدام نون التوكيد الخفيفة في هذا الموضع، أن امرأة العزيز- وإن كانت تملك سجنه – لا تملك إذلاله وإصغاره؛ فعبرت بما تملك بنون التوكيد الثقيلة في «لَيُسْجَنَنَّ»، وبما لا تملك بنون التوكيد الخفيفة في « وَلَيَكُونًا »، كذلك يلاحظ الباحث أن في استخدام القرآن لنون التوكيد الخفيفة في هذه الكلمة إبعاد نبي الله يوسف عن الذل والصغار؛ ففي البناء الصوتي ما يحقق طمأنة نبي الله يوسف على إبعاد الله ـ تعالى ـ له عن هذا، والأنبياء يتحملون أنواع البلاءات، غير الإذلال والمهانة اللذين لا يتناسبان مع مقام النبوة، والولاية.

كذلك يلاحظ الباحث مدى تعلق امرأة العزيز ليوسف .عليه السلام. في ذلك البناء الصوتي، وأنها نفسها لا تريد له الإذلال، والقصة القرآنية الكريمة ملآنة بما يدل على

[1] - إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، محمد شملول، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط الأولى، 2006، ص 178.

ذلك في مواضع الشدة، وغيرها، ولا أدل على ذلك من مشهد رؤية العزيز لهما، وهما يستبقان الباب، ليأتي السياق القرآني الجليل على لسان امرأة العزيز: (... قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ۝) (يوسف: ٢٥)؛ فلقد خيرت العزيز بين سجنه أو عذابه، ولم تذكر إذلالًا أو قتلًا, وفي مثل هذا الموقف لا يستحق صاحبه إلا الصغار والقتل، غير أنها لما اشتد بها الوجد، حرصت على حياته وكرامته؛ أما في الآية الكريمة موضوع الدراسة، فقد اجتمع فيها نونان: الثقيلة، والخفيفة، «والظاهر أن الفعل « لَيُسْجَنَنَّ » باشرته نون التوكيد الثقيلة؛ لأن امرأة العزيز عازمة عزمًا أكيدًا على سجنه. ولعل ما يؤيد ذلك أن هذا الفعل جاء مؤكدًا بالنون الثقيلة مرة ثانية؛ لما بدا لهم أن المصلحة تقتضي سجنه؛ إيهامًا لتبرئتها؛ قال تعالى: (ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْأَيَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ۝) (يوسف: ٣٥)؛ أما تهديدها ووعيدها له بالإذلال، فيبدو أنه كلام خارج من اللسان، ولم يقصده القلب ببرهان؛ ولذلك نراها لم تؤكد تقرير الإذلال بالنون الثقيلة، واكتفت بالخفيفة» ([1]).

وأما قوله تعالى: (كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ۝) فإن الدلالة الصوتية لبنية الكلمة بإلحاق نون التوكيد الخفيفة للفعل المضارع في كلمة « لَنَسْفَعًۢا » التي تشبه التنوين في الاسم تحقق في الفعل استمراره وعدم انقطاعه؛ وذلك بما للمضارع من تجدد، وما للتنوين اللاحق للأسماء من ثبوت، ولو قال: (نسفعن) لتوهم تأكيد السفع فقط، أو (نسفع) لظن أن السفع قد يقع ثم ينتهي فيتجدد، لكن « لَنَسْفَعًۢا» جعلت السفع مستمرًا محققًا ثابتًا.

ثانيًا: هاء السكت وكسر أفق التوقع في القرآن الكريم:

كذلك كسرت هاء السكت التوقع عند المتلقي، وقد وردت هاء السكت في القرآن الكريم في سبع كلمات، وهي: «يَتَسَنَّهْ»، «ٱقْتَدِهْ »، «كِتَٰبَهُۥ»، «حِسَابِيَهْ»، «مَالِيَهْ»،

[1] - غرر البيان في سورة يوسف عليه السلام في القرآن: دراسة قصصية ولمسات بيانية: أحمد محمود الشوابكة، دار الفاروق، عمان – الأردن، ط الأولى، 2010، ص 79, 80.

«سُلْطَانِيَهْ»، «مَا هِيَهْ». ويحاول البحث الكشف عن بعض أغراضها البلاغية في مواضعها المختلفة؛ ففي قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ (البقرة: ٢٥٩)؛ أي لم يتغير مع طول هذه السنين، وقد كان الطعام والشراب تينًا وعصيرًا، وهو ما يعني سرعة الفساد فيه وتحققه بعد مرور وقت قصير، غير أنه لم يتغير بعد مرور مائة عام، وقد تعمل هاء السكت في الكلمة على التوسع الدلالي؛ وفي الكلمة وجهان: «لم يتسنه، يحتمل أن يكون معناه لم يتغير ريحه من قولهم: تسنى الطعام إذا تغير ريحه أو طعمه؛ فيكون أصله يتسنن على وزن يتفعل بثلاث نونات، فأبدلت من الثالثة ألفًا لتكرر الأمثال، فصار يتسنى، فحذفت الألف للجزم، فبقي يتسنّ، فجيء بالهاء لبيان حركة النون في الوقف. ويحتمل أن يكون معناه لم تغيره السنون، فتكون الهاء فيه أصلية لام الفعل؛ لأن أصل سنة سنهة، ويكون سكونها للجزم» [1]، وهو ما يعمل على التوسع الدلالي للكلمة؛ فـ«الوجهان يأتلفان من حيث المعنى؛ إذ إن الطعام والشراب لن يتغير طعمه أو ريحه، ولم تغيره تتابع السنون؛ فالكلمة أدت المعنيين مرة واحدة» [2]. كذلك تنتج هاء السكت، والوقوف عليها «أن الخبر بذلك أمر جازم مقنع لا مرية فيه ولا تردد أصلًا» [3]. كذلك تشعر هاء السكت في موضعها بالتعجب والإدهاش من قدرة الله. تعالى. إذ ظل الطعام والشراب الأسرعان للفساد على حالهما بعد كل هذه السنين، واكتمالًا للاعتبار بهذه القدرة والاندهاش بها، فإن الحمار صار رميمًا.

كذلك كسرت هاء السكت التوقع عند المتلقي في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ٩٠﴾ (الأنعام: ٩٠)، والكلمة المشتملة على هاء السكت « ٱقْتَدِهْۗ ». ويلاحظ أن هاء السكت في موضعها تنتج تمام الاقتداء بهدى الرسل السابقين، والوقوف عليها يدل على أهميته وتعظيمه، و«أن الاقتداء بهم كان غير محتاج إلى شيء» [4].

ودليل تمام الاقتداء أن آية سورة (ص) ليست من عزائم السجود؛ إلا أن النبي.

---

[1] - مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب قيسي، ص 138.

[2] - اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، محمد نور الدين النجد، ص 334.

[3] - نظم الدرر، البقاعي، 57/4.

[4] - نظم الدرر، البقاعي، 183/7.

صلى الله عليه وسلم ـ كان يسجد عندها؛ فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «ليس ص من عز ائم السجود، ورأيت النبي. صلى الله عليه وسلم. يسجد فيها» ([1]).

وذلك تأسيًا و اقتداء بنبي الله داود. عليه السلام. فعن سهل بن يوسف قال: سمعت العوام عن مجاهد قال: «قلت لابن عباس أنسجد في ص؟ فقرأ: «(وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ)» حتى أتى « فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۖ»، فقال ابن عباس. رضي الله عنهما : نبيكم. صلى الله عليه وسلم. ممن أمر أن يقتدي بهم» ([2]).

وقد أنتجت دلالة هاء السكت معنيين متضادين؛ وذلك في قوله تعالى: (فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ٢٤ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ٢٩) (الحاقة: ١٩ – ٢٩). والكلمات المشتملة على هاء السكت هي: « كِتَٰبِيَه» و « حِسَابِيَه » في موضعيهما، و « مَالِيَهۡۜ » و « سُلۡطَٰنِيَه »، وما أبلغ التعبير القرآني حين يستخدم هاء السكت بل الكلمتين« كِتَٰبِيَه» و « حِسَابِيَه » فتنتج معاني متضادة، «فتقف خاشعًا مبهورًا، تمتلك هزة من الأعماق و أنت مأخوذ بهذا الوضع الموسيقى الحزين، المنبعث من أقصى الصدر وأواخر الحلق، فتنقطع الأنفاس، وتتهجد العواطف، واجمة، متفكرة، متطلعة، فتصافح المناخ النفسي المتفائل حينًا، والمتشائم حينًا آخر، و أنت فيما بينهما بحالة متأرجحة بين اليأس والرجاء، والأمل والفزع، والخشية والتوقع» ([3])، ومرد هذا إلى السياق؛ فإن الكلمة لا تكتسب معناها من نفسها بل من موضعها في التركيب والسياق، فمن أوتي كتابه بيمينه يصيح من الفرحة والسعادة، وأي فرحة تعدل هذه الفرحة؟! وأي

[1] - صحيح البخاري، كتاب حديث الأنبياء، حديث رقم (3422)، ص847.

[2] - المرجع السابق، الحديث نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - الصوت اللغوي في القرآن، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت ــ لبنان، ط الأولى، 2000، ص153.

نجاة تعدل تلك النجاة؟! هي نجاة يناسبها النشاط والصياح، فيصيح الناجي الآخذ كتابه بيمينه، « هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ٢٠»؛ وأما من أوتي كتابه بشماله يصيح من الحسرة والندم، وأي حزن بعدل ذلك الحزن، وأي هلاك بعدل ذلك الهلاك هو هلاك يناسبه التأوه والعويل، فيصيح الهالك الآخذ كتابه بشماله« يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ٢٩»؛ فإن في « مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ » «هذه الهاء إذا وقف عليها القارئ أشبهت الحسرة في انطلاقها من صدر المتحسر لندمه»([1]).

لقد أبدعت هاء السكت في إنتاج صورة حية مرئية و مسموعة لموقفين متناقضين أتم التناقض، وغير ذلك؛ فقد عملت هاء السكت على المحافظة على الإيقاع الصوتي للآيات.

وأخيرًا جاءت هاء السكت مو افقة للسياق في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ١٠﴾ (القارعة: ١٠)؛ إذ تتحدث الآيات عن جهنم التي أعدها الله لمن خفت موازينه، وتأتي الكلمة في سياق الأسلوب الإنشائي (الاستفهام)، الذي ينكر القرآن فيه معرفة حقيقة النار، وتشتمل كلمة الفاصلة « مَا هِيَهۡ» على هاء السكت، «وهاء السكت إشارة أن ذكرها مما يكرب القلب حتى لا يقدر على الاسترسال في الكلام، أو إلى أنها مما ينبغي للسامع أن يقرع بهذا الاستفهام عنها سمعه، فيسكت لسماع الجواب، وفهمه غاية السكوت، ويصغي غاية الإصغاء» ([2])، كذلك فإن الكلمة باشتمالها على هاء السكت حافظت على الإيقاع الصوتي للسورة الكريمة.

[1] - الإعجاز البياني الصوتي، محمد داود، دار جياد للنشر والتوزيع، السعودية، ط الأولى، 2011، ص 88.

[2] - نظم الدرر، البقاعي، 22/ 224.

الخاتمة والنتائج

في نهاية تلك الرحلة الماتعة مع كتاب الله ـ تعالى ـ رصد البحث بعض النتائج التي تمخضت عن دراسة أسلوبية كسر أفق التوقع في الحرف في القرآن الكريم، ومنها:

- أكد البحث صحة تطبيق أسلوبية كسر أفق التوقع؛ بوصفه أحد مصطلحات نظرية التلقي على الأسلوب القرآني الجليل؛ بما يلائم قدسية القرآن الكريم، ويناسب إعجازه.

- تتجلى في القرآن الكريم الظاهرة الأسلوبية «كسر أفق التوقع عند المتلقي»؛ كما ظهرت في الأعمال الأدبية البشرية.

- تسمح الحروف العاطفة لكسر أفق التوقع عند المتلقي أن يستنبط في فضاء النص ما يشاء، بما يتفق مع المضمون والسياق وجلال القرآن؛ لاسيما في القصص القرآني.

- أظهر البحث أن تقارض حروف الجر في القرآن الكريم، أو أن الحرف المذكور لا يؤدي معنى الحرف المحذوف، وينتج معناه فقط؛ وإنما يعطي الحرفُ المذكور معنى الحرف المتوقع وزيادة، وقد تمنع توهمًا قد يقع فيه المتلقي إذا وردت بما يتوقعه المتلقي.

قائمة المصادر والمراجع

- اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر، دمشق، برامكة، ط1، 2010م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، المكتبة التوفيقية، ط الأولى، 2013.
- أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: السيد الجميلي، ط دار الريان للتراث، (د. ط)، (د. ت).
- أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين أبو عبد الرحمن السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت .لبنان، ط الأولى، 2002.
- استثمار الأسلوب العدولي في تذوق النص القرآني، عيد محمد شبايك، (د. ب).
- أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، مثنى كاظم صادق، كلمة للنشر، منشورات ضفاف، ط الأولى، 2015.
- الإعجاز البلاغي في سورة يوسف، عزيزة عبد الفتاح الصيفي، (د. ط)، (د. ت).
- الإعجاز البياني الصوتي، محمد داود، دار جياد للنشر والتوزيع، السعودية، ط الأولى، 2011.
- إعراب القرآن الكريم، سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، (د. ط)، (د. ت).
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير للطباعة، دار اليمامة، ط السابعة، 1999.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1993.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: أبى الفضل الدمياطي، دار الحديث، (د. ط)، 2006.
- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، ط الأولى، 1993.
- تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المكتبة العلمية، شرحه

ونشره: السيد أحمد صقر، (د. ط).
- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، (د. ط)، 1984.
- التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل، مطبعة دار الزمان للنشر والتوزيع، السعودية، ط الأولى، 2005.
- تفسير الفخر الرازي، محمد الرازي فخر الدين، دار الفكر للطباعة والنشر، ط الأولى، 1981.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط العاشرة، 2009.
- التفصيل في إعراب آيات التنزيل، عبد اللطيف محمد الخطيب، سعد مصلوح، رجب حسن العلوش، مكتبة الخطيب للنشر والتوزيع، الكويت، ط الأولى، 2015.
- الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط الأولى، 1992.
- روح المعاني، محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث بيروت لبنان، (د. ط)، (د. ت).
- زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، (د. ط)، (د. ت).
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط الأولى، 2002.
- الصوت اللغوي في القرآن، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت. لبنان، ط الأولى، 2000.
- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط الرابعة، 2007.
- القرآن الكريم وتفاعل المعنى، محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر، (د. ط)، 2002.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، أبو القاسم محمد ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، ط المكتبة التوفيقية، (د. ط)، (د. ت).
- اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب

العلمية، بيروت .لبنان، ط الأولى، 1998.

- لطائف قرآنية، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط الأولى، 1992.
- اللمحة البدرية في علم اللغة العربية، ابن هشام الأنصاري، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان .الأردن.
- مباحث في لغة القرآن الكريم وبلاغته، عائد كريم علوان الحريزي، العراق، 2008.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، مكتبة الخانجي بمصر، (د. ط)، (د. ت).
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، (د. ط)، (د. ت).
- مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا .بيروت، 1991.
- المفصل، ابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د. ط)، (د. ت).
- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى، 1989.
- موسوعة الإعجاز الحرفي في القرآن، سامح القليني، القاهرة، دار المثقف للنشر والتوزيع، ط الأولى، 2020.
- النحو التطبيقي، خالد عبد العزيز، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط3، 2019.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، 1984.
- نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: دراسة دلالية، دفة بلقاسم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بسكرة، الجزائر، 2009.